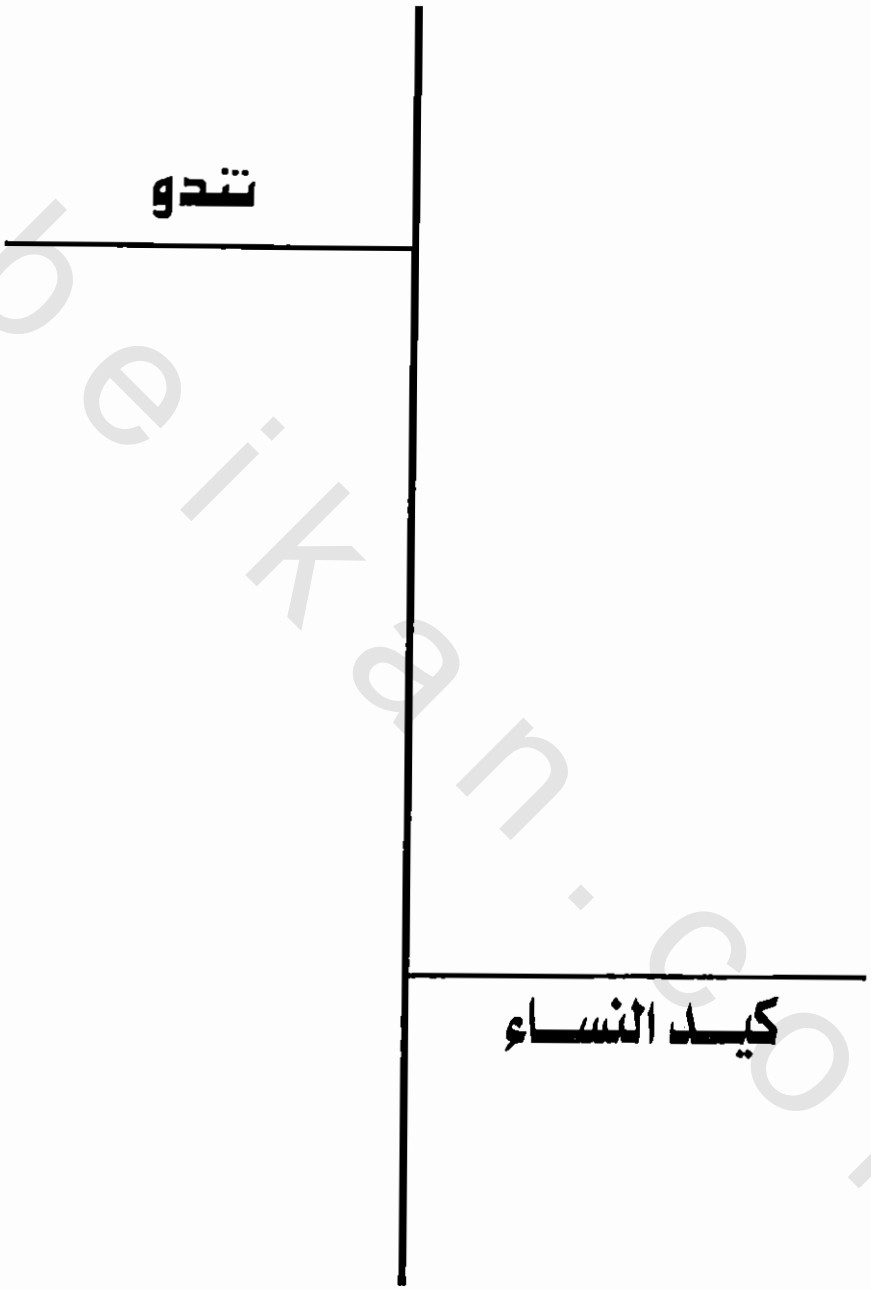

obeikan.com

obeikan.com

تندو

ملكة العراق

ابـنة حسين ابن أوس ملكة العراق والجزيرة عاشت في أواخر القرن الثامن الهجـرة ، نـشأت يتـيمة وكفلها عمها "أحمد بن أويس" الذي كان سـلطانا للعـراق والـذى كـان قـد أعد العدة لمواجهة "تيمور لنك" الذي كـان يعد له خديعة لاحتلال بغداد دون حرب حيث أرسل إلى السلطان أحمـد يطلـب مصاهرة ، وسعد السلطان بتلك المصاهرة المزعومة وصدق "تـيمور لنك" الذي رأى أن الخدعة نوع من الحرب ، وفرح الشعب بهذه المـصاهرة الـتي تعطـيه الأمان وتكفيه القتال ماعدا تندو التي كانت تشتم رائحـة الخديعـة في الأمـر ، وحذرت عمها لكنه لم يستمع لنصيحتها ولما يئـست من موقفه رجته أن يحتفظ بكل استعداداته العسكرية التي كان قد أعـدها لمـواجهة "تـيمور لـنك" قـبل أن يرسـل إلـيه في طلـب المصاهرة المـزعومة ، لكن السلطان أحمد استخف بعقل تندو وسفه القواد والأمراء رأيهـا ، وخرج السلطان في موكبه لملاقاة صهره المزعوم بالأفراح ، فرسم الطـرق لاسـتقبال الغـازى المخـادع دون حـرب وفـتح لـه أبواب بغداد ليدخلها دون حرب .

بمجـرد دخوله بغداد انقض "تيمور لنك" على الجميع ليقبض رجاله علـيهم ويقطعـون رقابهم ، لكن السلطان استطاع الفرار من تلك المذبحة ولجأ إلى حلب .

وصـلت أنـباء المذبحـة إلى الظاهـر بـرقوق سـلطان مـصر فسارع إلى إرسـال أحـد كبار أمرائه لاستقبال السلطان وحمله الهدايا والأعطيات له ودعـاه لاسـتضافته في مـصر وهو ومن معه ، وحضر السلطان "أحمد" إلى مصر واستقبله السلطان "برقوق" وأنزله بقصور الضيافة الفخمة بالقرب مـن مـسجد ابـن طولـون ، ونعمـوا بكرم الضيافة ، ويبدو أن الجميع بما

فيهم السلطان كانوا قد استسلموا لمصيرهم وسعدوا بالإقامة في مصر إلا "تندو" التي كانت تبدو في تعاسة دائمة من الجرح الذي لم يندمل باحتلال بلادها بخديعة "تيمور لنك" وعدم استجابة الجميع لرأيها واستخفافهم بها حين حذرتهم.

ذات يوم بينما تندو تجلس تراقب السماء وتتذكر أيامها في بغداد وملكها الضائع دخل عليها عمها السلطان أحمد يزف إليها بشرى طلب السلطان برقوق يدها للزواج وهو في غاية السعادة لهذه المصاهرة التي توفر له الأمن والسعادة وأخبرها بموافقته وسألها عن رأيها، ولم تكن "تندو" بحاجة إلى التفكير فلديها هدف تريد الوصول إليه ولا تقبل عنه بديلا وهو تحرير بغداد، طلبت على الفور أن يكون مهرها الذي تطلبه من السلطان برقوق هو مساعدتها على استرجاع أرضها من "تيمور لنك".

وقبل السلطان ذلك ووعدها أن يلبى لها طلبها ويفي لها بمهرها، وتم الزواج على هذا المهر المؤجل الذي لم تمض عليه أيام حتى جاءت الأخبار بأن تيمور لنك يزحف نحو الجزيرة العربية، فذكرت "تندو" زوجها السلطان "برقوق" بوعده وطالبته أن هذا هو وقت وفائه لها بمهرها.

وبالفعل جهز السلطان جيوشه، وسار إلى قرية "البيرة" عند "حلب" وفى الليل هاجم معسكرات "تيمور لنك" الذي فقد توازنه بعد الخسائر الفادحة التي مُنى بها فأعطى الأوامر لجيشه بالانسحاب والعودة إلى بلاده، وتحررت بغداد وتوقف الزحف نحو الجزيرة، ثم عاد السلطان "برقوق" إلى القاهرة ليزف إلى زوجته "تندو" أنه وفى بوعده وسدد لها مهرها بتحرير بلادها من الغزاة.

لم يكن السلطان "برقوق" يتوقع أن يكون مهر زوجته التي أحبها هو

مؤخر صداقها وهو الذي بذل كل جهده لإسعادها وراحة بالها الذي كان مشغولا دائما ببلادها لكن طلبت منه أن يسمح لها بالعودة إلى وطنها "بغداد".

يضرب السلطان برقوق مثلا آخر للوفاء معبرا عن نظريته في معنى الحب أنه إسعاد المحبوب وليس أسره وامتلاكه فأكد لها أنه على حبه لها ووفائه وأنه في سبيل ذلك الحب مستعد لفعل أي شيء يمكن أن يسعدها حتى وإن كان بعدها عنه وفكها من رباط الزوجية، طلقها وجهز لها موكبا حملها إلى بغداد معززة مكرمة وعاد معها السلطان أحمد إلى سلطنته، لكنه لم يمكث طويلا حتى قتل بعد أن زوج "تندو" من ولى عهده الأمير "شاه" الذي مات بعد مدة وكان ضعيفا لا يقدر على إدارة دفة الحكم وتولى من بعده السلطان محمود لكنه كان ضعيفا أيضا فتخلصت منه بعد أشهر قليلة وتفردت هي بحكم العراق والجزيرة.

* * *